المقدمة

"الإرادة الحرة هي أصل الشرور إن أسيء استخدامها"

طارق ثائر

٢١ تشرين الثاني ٢٠٢٠

رواية قصيرة

القطيع

المؤلف
طارق ثائر

1

كان يا ما كان في زمن غير بعيد، إحدى المقاطعات التي تقع شمال غرب الأرض، ليلة مظلمة حالكة قارصة البرد تلبدت سحب عاصفة رعدية، خلف السحب سماء قاتمة من غير نجوم وقمر مختفٍ، يومض البرق على كوخ خشبي أشبه بشبكة عنكبوت، زمجر صوت انفجار رعد شديد يصم الاذن، الطقس ينذر بهبوب عاصفة هوجاء، بدأت أولى قطرات المطر تهطل متثاقلة واحدة تلو الأخرى على سطح الكوخ، أخذ الهواء يصفق وانهالت السماء بأمطار ثقيلة أحدثت ضجيجا من جراء ارتطامها بسطح الكوخ.

يعيش داخل الكوخ الذي يتكون من طابقين ومدخنة حجرية مغطاة بمخلفات الدخان الأسود (ريث كيرت) ووالداه (روبنسون) و(أوليفيا).

اتكأ (ريث) في الطابق العلويّ على سريره الخشبي يقرأ رواية لـ(ڤولتير) 1 وبجانبه طاولة خشبية صغيرة عليها

كوب ساخن من القهوة يتصاعد البخار منها، يحتوي الطابق العلويّ الخاص بـ(ريث) على مكتبة كبيرة تحتوي على رفوف مملوءة بالروايات، في الطابق السفلي (روبنسون) العجوز مع زوجته (أوليفيا) يجلس على كرسيه الهزَّاز الخشبي بجانب موقد الحطب يقرأ جريدة ذات إصدار قديم واضعاً نظارته على أنفه و(أوليفيا) تجلس بجانبه على طاولة الطعام يحتسون القهوة الساخنة ويتبادلون الحديث بين الحين والآخر، كان المقال الذي يقرأه (روبنسون) لـ(وودي آلن)2 يتحدث عن أسئلة الحياة الكبرى.

شعر (ريث) بالضجر من أصوات ارتطام المطر الثقيل بسطح الكوخ محدثاً ذلك صوت أوركسترا على مسرح، لم يتمكن من مواصلة القراءة رمى الرواية جانباً وقرر الجلوس مع (روبنسون) و(أوليفيا)،

جلس (ريث) بجانب (أوليفيا) على طاولة الطعام رمى (روبنسون) الجريدة جانباً ونظر نحو(ريث) من تحت نظارته وقال:

"أودّ التحدث بشأن أمر في غاية الأهمية"!

"هذا من دواعي سروري أبي"

"هل قرأت رواية تتكلم على مقاطعة مجهولة تدعى (مقاطعة الإرادة الحرة) او ما شابه"؟

"ربما قرأت ما أظنه مشابها، فجميع كتب (فريدريك نيتشه) 3 تتحدث عن هذا الشيء"

"ربما انه مشابه، ولكن ما سأخبرك به هو محض حقيقة"

"كيف ذلك؟ ألا تؤمن بما يقوله (فريدريك نيتشه)"؟

"بالتأكيد أؤمن (ريث)، على اية حال انها مقاطعة حقيقية وعائلتي بحثت عنها منذ عقود وأودُّ أن أبحث عنها ولكن كما ترى تأخر الوقت".

"ما الشيء الذي يثير الاهتمام فيها"؟

"الإرادة الحرة"!

"معنى ذلك أننا لا نملك الإرادة الحرة في مقاطعتنا"؟!

"هذا مؤكد (ريث) الإرادة الحرة هي حرية الاختيار بين شيئين ونحن نملك خيارا واحدا في مقاطعتنا واذا تمكنا من إيجاد المقاطعة المجهولة سنمتلك الخيارين معاً"!،

وأردف يقول:

" تصور ماذا يحدث إن لم تقم بالاختيار؟! هكذا تقف متفرجاً الى ما ستؤول اليه الحياة من أحداث برأيك ماذا يحدث؟ هل

نتعفن من الانتظار؟ أو ندع الاخرين من الناس ليختاروا لنا؟ وهل يدعى هذا اختيار إن تم اختياره لنا أو انقياد وخضوع؟
صمت لوهلة ثم أضاف:
"ستجاب هذه التساؤلات التي عرضتها عليك في نهاية رحلتك ولكن بعد أن أتأكد من عدم انصياعك مع القطيع خلف راع اختير لك لتتبعه..."
تفاجأ (ريث) من (روبنسون) وأجابه بوجه ممتقع لما أحدثه كلام (روبنسون) في نفسه:
" لا تقلق بهذا الشأن فطالما أتساءل في كل مرة ان لم يكن هنالك راعٍ فهل ما يحدث انه لن يكون هنالك قطيع، أو ان القطيع هم من يصنعون الراعي بأنفسهم ولكن في نهاية الامر أن هذه العملية ليست إلا ظن من قبل القطيع بأنه لا يستطيعون السير من غير راعٍ"

وأردف يقول:

"في عصرنا الحالي تبين لي أن لكل شخص لديه الإله الخاص به (الراعي)، انها صفات القطيع"

أجابه (روبنسون) مبينا له:

"من الامور السيئة التي تحدث للبعض هي أن يصبح مع القطيع الذي يقودهم راعٍ وكلب وأسوء من ذلك والمضحك في الوقت نفسه اذا كان الراعي غائبا ويقودهم الكلب بدلا

منه وعلاوة على ذلك يقوم الكلب بتخويف القطيع بالراعي الغائب ومن المحتمل ايضا أن يكون الراعي محض وهم ليس إلا"

أجابه ريث مردفا:

"هنالك البعض يصبح مع القطيع لكي يخلص للإله على الرغم من أنه يتمكن من الاخلاص للإله بمفرده"

"فعلا ريث هذا صحيح واسمع هذه القصة، يحكى قديما انه كان هنالك قطيع اغنام وراعٍ وكلبه فشعر الراعي بحاجته لقضاء حاجته بعيدا من القطيع وحينها لم يعد بعدها، المسكين ربما أكله الذئب وهو على هذه الحالة ها ها ها ها ، والان لم يبقَ للقطيع سوى الكلب ليرعاه!!!"

تعجب ريث من هذه القصة؛ لأنه وجدها لا تحمل أيًّا من المعاني حتى انه لم يضحك على ضحكة روبنسون قط،

شعر ريث بالحرج من روبنسون وبعدها توقف روبنسون عن الضحك وأطرق ريث راسه للأسفل بعد أن فهم مغزى القصة وقال:

"فعلا أصبح الاخلاص الى الاله في هذا العصر هو اخلاص للرعاة والمتفائل هو من لديه راعٍ شديد الاقناع!! فعلا انه شيء يدعو الى السخرية"

"قطعا ريث انها سخرية ولكن السخرية الحقيقية هي انه هنالك رسائل كثيرة جدا في الكتب السماوية الحقيقية التي كتبت على شكل الواح وليس هذه الكتب الحالية التي قام البشر باستنساخها!! تقول، انه علينا ألا نتبع الرعاة ونكون قطيعا، وتجد في هذا العصر أن الغالبية العظمى ينضمون الى القطيع ويجرون خلف الراعي وأصبحت القطعان لا تعد ولا تحصى، يا للأسف، صدقني يا ريث لم يطلب الاله منك أي شيء سوى أن تخلص له وحده وتسير على وفق نظام أخلاقي"

"ولكن لديَّ سؤال روبنسون نحن جئنا الى هذه الحياة ووجدنا أنفسنا على طبيعة محددة، لم نختر أن نكون كذلك، ومن ثم فالنتيجة اننا جميعا مسيرون مؤقتا ولكن حدث وان تم منحنا ارادة حرة وأصبحنا نوعين الاول من يسير على وفق طبيعته ويتمكن من توجيه ذاته، والثاني هم القطيع، ولكن المثير في ذلك بغرابة ان هنالك تصادما بين النوع

الثاني من أبناء جنسهم فكل قطيع يظن أنه يجري خلف الراعي الجيد، وانهم يعملون ما هو جيد، هل من الممكن ان يكون النوع الثاني جميعهم يعملون ما هو جيد؟"

"سأجيبك ولكن بعد ان أتأكد من انك ستأخذ اجابتي على محمل الجد"

"تفضل روبنسون لك هذا"

"كما قلت يا صغير، إنه ظنهم لا أكثر فالجميع يظن نفسه أنه على صواب، وما يجب عليك أن تأخذه على محمل الجد هو أن تبقى صامتا في أي شيء ولا تبدي رأيك في أي شيء، ولكن لا تستغرب ابدا فالجميع سيحتقرونك حتما وفي كلتا الحالتين ان كنت على خطأ او على صواب"

"لا بد من ذلك روبنسون وانا من جانبي وفيما يخص علاقتي مع الاله سأتحمل كامل المسؤولية في كيفية التعامل معه، لأنني اخترت أن أوجه ذاتي ولا أنضم الى القطيع وأسير خلف الراعي ملقيا بذلك اللوم عليه، وعندما يحين الوقت لكي أقف أمامه، سأقف شجاعا من غير أن أخاف

وأقول له أنا من يتحمل نتيجة أخطائي، انها الحرية الحقيقية بالتأكيد"

"يجب عليك ريث أن تعلم جيدا أنه ليس من المحتم عليك ومن الضرورة أن تجعل لك مثلا أعلى حتى إن كان هذا الشخص عزيزا عليك، يمكنك الاحتفاظ بأفكارك الخاصة؛ لأن الرعاة لم يخبروا قطعانهم بالحقيقة"

"لا مناص في ذلك روبنسون"

"ريث تذكر ما قلته جيدا، وأخيرا كل شخص لديه مطلق الحرية في التحكم بسيرورة حياته أن تكون جيدة أم سيئة، وليس له أن يتذرع ويقول إن هذه الحياة مكتوبة وإن الإله أراد لي تلك الحياة، أنت المسؤول الأول لما يحدث لك وانه لا يوجد خير خالص وشر خالص إذا أخذنا بعين الاعتبار انه هنالك أفعال تصدر من بعض الاشخاص تسوغ فعلهم سواء أكان خيرا أم شرا، لا تنسى ذلك وتذكره دائما "

حمل (روبنسون) عصا موقد الحطب وأخذ يقلب فيه بعد أن توقف عن الحديث لوهلة، ترك العصا جانباً وأخرج من جيب كنزته الصوفية لفافة ذات ورق مصفر سميك ربطت بخيط اسود رفيع، ناول (روبنسون) اللفافة لـ(ريث)،

"والان بعد أن انقشعت مخاوفي ناحيتك أمسك، افتحها"!،

تناولها (ريث) من يده وفك ربطتها فتحها وتفرس في ما في داخلها بضع دقائق، رفع رأسه نحو (روبنسون) وقال:

"ماذا تعني هذه اللفافة؟ ولماذا هي باللاتينية"؟

أجابه (روبنسون)،

"انها لفافة المقاطعة وهي عبارة عن خريطة للوصول اليها ، لابد أن تكون باللاتينية، كان لابد من البحث عنها بنفسي ولكن وصلتني اللفافة متأخرة"،

صمت لوهلة ثم أضاف،

"انت من ستقوم برحلة البحث (ريث)"!

شعر (ريث) بالغبطة لولعه الشديد بالمغامرات التي تحف بالمخاطر في الروايات التي يقرأها وقال:

"هذا من دواعي سروري، سيجعلني ذلك سعيداً من دون شك، ولكن لم أكن أعلم بوجود مثل هذه المقاطعة الا في الروايات الخيالية"!

"انها حقيقية كما تعلم (ريث) فعائلتي لديها رأي خاص بشأن (الشر) إذ بحثوا عن هذه المقاطعة منذ عقود للقضاء عليه"

"أجل وماذا بعد"!

"الكون (ريث) هو زمن له بداية ونهاية لا يعود إلى الخلف وهو من صنع (الخالق) وبإيجاد الإرادة الحرة سنتمكن من الاختيار، اختيار الوقت المناسب واكتشاف ذواتنا من خلاله بشكل افضل"،

همهم (ريث) علامةً على التهام كلام (روبنسون)، واستأنف الأخير كلامه وقال:

"الكون يا (ريث) هو نهر سريع الجريان يشق طريقه بسرعة البرق له بداية ولديه نقطة يَصبُّ فيها يسير بإتجاه واحد وبإيجاد الخيار الإضافي ستتمكن من تغيير سير اتجاهه كأن يكون بحفر أو شق طريق آخر للنهر او وضع سدّ له او أي شيء آخر على سبيل التشبيه"،

توقف روبنسون لوهلة ثم أضاف،

"لأوضح كلامي بشكل افضل، اعتقد بعض العلماء قديماً بكروية الأرض بعضهم أثبت ذلك بواسطة أدلة وبعض آخر لم يثبتها إلا ببعض الفرضيات التي لا قيمة لها وانا من جهتي فالأرض مسطحة ،

ريث الخيار الذي نمتلكه الان أشبه بكروية الأرض او أي شكل تتخذه، وما تحتويه من أنهار وبحار وجبال وجزر فمهما حاولت من تغيير شكل الجبال والأنهار والبحار ...الخ

لن يتغير شكل الأرض من الخارج (أي كرويتها او أي شكل تتخذه)، على أن تأخذ بعين الاعتبار اذا كنت تسبح وسط الأثير في الفضاء وتراها من هناك وهذا لن يحدث مطلقا"،

رد (ريث) بتعجب،

"كيف ان للخيار الذي نمتلكه علاقة بكروية الأرض"؟!

أجابه (روبنسون)،

"سأخبرك، لو تمكنا من إيجاد الخيار الاخر (ريث) قطعاً سنتمكن من تغيير أشياء كثيرة بغض النظر عن كروية الأرض فأنه محض مثال ليس إلا، ان السر يكمن في امتلاك الخيار الإضافي الذي لن يفهمه حتى من اكتشف كروية الأرض"،

كسرت (أوليفيا) حاجز صمتها وقالت:

"عليك ان تصدق كلامه (ريث)"،

أومأ (ريث) برأسه دلالة على موافقته ل(أوليفيا)، ثم قال:

"وهل لهذا الشيء شأن بالإله والحياة"؟

أجابه (روبنسون)،

"من دون شك (ريث)، فهذا الشيء تحديداً ما وضعه فينا إله (زرادشت)4"

"لقد فهمت الان ولكن لديّ أسئلة تقضّ مضجعي دوماً، ماذا بشأن الحياة لماذا نحن هنا ؟ وما الفائدة من العيش؟ ما الغرض والغاية ؟ وماذا يحلُّ بنا بعد الموت؟"،

كان (ريث) دائماً ما يتسائل حول هذه الأشياء ويقول حول الموت،" *كثيراً ما اخاف الموت، الموت ليس شيئا مرعبا ولكن المرعب فيه انك ستموت وحيداً* "،

"لن أتمكن من اجابتك على هذه الأسئلة ولكن سيجاب عن جميعها عندما تصل الى نهاية الرحلة ستجد الجواب الذي تود سماعه"

"ماذا بشأن الرحلة، كيف أبدأ ومن اين؟ وماذا أواجه في طريقي"؟

اجابه (روبنسون)،

"(ريث)! تعلمت لغات كثيرة وتستطيع التحدث باللاتينية برموزها واللفافة هي خريطة ستجد فيها كل ما تحتاج اليه، ستواجه بعض المتاعب في طريق الرحلة لا مناص، ستمر بمقاطعات مختلفة وستتعرض الى تحولات عديدة، ستواجه اشخاصا لا يشبهوننا في الشكل والجوهر يتحدثون بلغات مختلفة ولكن لا عليك فلغاتك التي تحفظها ستنقذ الموقف"!

"هل هذا كل شيء"؟

"لا! فهنالك الشيء المهم او ربما الأهم! في كل مقاطعة تمر من خلالها ستواجهك احدى الفلسفتين ربما انا أدعوها بذلك، هي الحكمة والإغواء فعليك بالحكمة (ريث)"

صمت (روبنسون) مطرق الرأس يصارع أفكاره ثم قال:

"اجمع حقيبتك ستبدأ منذ الغد ستسير على قدميك، تذكر ابحث عن الحكمة ستجدها، ستواجه الإغواء لتبتعد بها عن ضالتك، عليك توقع أشياء لم يكن عليك ان تتوقعها ستنجو (ريث) لا تقلق...،

2

في صباح يوم الرحلة كان الجو صحوا، السماء صافية والهواء منعش في الخارج، تسائل (ريث)،

"ربما هذا الطقس المنعش هو بداية جيدة لرحلتي"

أخذ (ريث) نفساً عميقاً، كان (ريث) في أواخر العقد الثاني من عمره طويل القامة أشقر الشعر غاضب الوجه مقطباً في حالاته الاعتيادية، بدأ يسير بعد أن جمع كل ما هو ضروري للرحلة داخل حقيبته ولم ينسَ اللفافة اهم الأشياء،

نظر (ريث) نحو الأفق الممتد لا نهاية له يفكر،

"الى أي مدى سأصل اليه يا ترى؟ وما المسافة التي سأقطعها سيراً وماذا أواجه خلالها"؟

حاول أن ينفض هذه الأفكار من رأسه، لم يكن هنالك داعٍ الى التفكير والقلق من المستقبل الذي لم يولد بعد، على اية حال أن أجهدت رأسك لن تصل الى نتيجة سعيدة كل ما عليك فعله هو أن تدع الزمن يمضي قدماً ولكن يجب ان تضع في عين الاعتبار بعدم التفكير هكذا فقط لا تفكر مطلقاً ستجد نفسك سعيداً، السعادة تقبع داخلك،

3

(ريث) وسط مروج خُضْر جميلة، يسير تحت شمس الشتاء لاهث الانفاس ومتقطعة ينبعث من فمه بخار كثيف يتصاعد تحت أشعة الشمس ويتجه خلفه كأن (ريث) قطار يعمل بالفحم، بعد ثلاث ساعات من السير المتواصل لاح لـ(ريث) من بعيد مقاطعة مطابقة مع ما ترجمه في اللفافة انها المقاطعة الأولى،

اقترب (ريث) ولم يتبقَ سوى ربع ميل لحدودها، هبَّ نسيم هادئ، منعش وعذب محمل بعبق الأشجار، دخل حدودها وجدها جميلة متقنة الصنع ذات أشجار كثيفة خاطفة الانفاس

واشجار بفواكه دانية سهلة القطف وناضجة توقف (ريث) على صوت،

"توقف أيها المغامر"!

أراد (ريث) أن يقطف ثمرة من احدى الأشجار ولكنه أعاد يده وجال ببصره نحو مصدر الصوت بعد ذلك استقر نظره نحو شجرة مرتفعة ذات فروع متشعبة تتدلى الى نصف جذعها ثمارها ناضجة، لم يتمكن (ريث) من معرفتها من أي صنف تنتمي فهي ثمار كبيرة الحجم صفراء فاقعة تشبه الكمثرى لكن بعنق ضيقة من المنتصف، انها شجرة تتميز من بقية الأشجار تثير الحفيظة، وقف بجانب الشجرة رجل ببدلته الرسمية جميلة بربطة عنق متناسقة وامرأة ترتدي فستانا ابيض ناصعا طويلا يلامس الأرض، إنهما في ريعان الشباب، يتحلق حولهم اشخاص أعدادهم كثيرة يتناولون ما يعطيهم الرجل والمرأة من ثياب جديدة ويرتدونها، يبدو على الأشخاص التعب وآثار الكمد والارهاق وتظهر على وجوههم التجاعيد وهي واضحة، لم يكن بينهم اشخاص صغار السن قطُّ، يرتدون الثياب الجديدة بتثاقل كأنهم أجبروا عليها بينما هما في الواقع يرتدون ثيابا جديدة،

سار (ريث) نحوهم فسح بعضهم له للمرور بشكل تلقائي، تحدث الرجل الذي يرتدي البدلة لـ(ريث)،

"ماذا تفعل هنا على مقاطعتي أيها المغامر؟ ومن أعطى لك الاذن بقطف الثمار"؟

"معذرة سيدي! لم أعلم أن لهذه المقاطعة عمدة!، لقد شعرت بالجوع وهذه الأشجار دانية القطوف وناضجة فأردت الحصول على حصة منها هذا كل ما في الامر".

"وماذا تفعل غير ذلك يا ترى"؟

"انا مسافر أبحث عن مقاطعة مجهولة تدعى بـ(مقاطعة الإرادة الحرة)، هل يمكنك مساعدتي في الوصول اليها"؟

"هه هه هه! هل انت مجنون؟ تبحث عن مقاطعتي وانت في داخلها! يبدو أنك شخص غريب الأطوار فعلاً"،

أجابه (ريث)،

"اللفافة التي بحوزتي تشير الى أن هذه المقاطعة هي الخطوة الأولى من الرحلة! أيعقل ان تكون هذه هي المقاطعة التي أبحث عنها"؟

"بالتأكيد أيها الاحمق! لكن هنالك شيء واحد عليك فعله وإلا لن تجد ضالتك"

"وما هذا الشيء"؟

"يجب أن ترتدي من هذه الثياب التي لدينا"!

نظر (ريث) الى الأشخاص الذين يتحلقون حول العمدة وزوجته ووجد شيئا دعاه الى التساؤل،

"لماذا عندما يرتدون هذه الثياب يصبحون كبار السن واذا نزعوها يرجع الزمن إلى الخلف ويصبحون اكثر شباباً"؟

انتابه الشك وتذكر ما اخبره (روبنسون) بشأن الإغواء الذي سيتعرض له، لم يطمئن قلب (ريث) وقال له:

"شكراً لك، افضل الذهاب، لا أرغب في ارتداء هذه الملابس، ثيابي التي ارتديها جيدة وانا بخير"!

استدار (ريث) نحو الخلف وسمع العمدة يخبر زوجته،

"انه فعلاً شخص احمق"

لكن (ريث) لم يتأثر بقول العمدة وفكر،

"ربما أراد إغوائي"

على اية حال امتنع (ريث) من ارتداء تلك الثياب وتابع سيره نحو الامام من دون النظر إلى الخلف،

4

اتجه (ريث) شمالاً وسار أياما كثيرة بين الغابات وعبر البحار والأنهار، لم يواجه (ريث) صعوبة بتناول الطعام والشراب لتوفره،

أصبح الهواء شمالاً ذا برودة قارصة، جعل (ريث) يرتدي ثيابا ثقيلة (معطف ثقيل جداً) مصنوع من جلد الأبقار كان الحل الجيد للقضاء على البرودة،

دخل (ريث) مقاطعة هي عبارة عن أفق لا حدود له وهو مكسوّ بالثلوج وكانت سرعة الرياح حينها قد تصل الى سرعة ستين كيلومتر في الساعة،

لم يجد (ريث) في بادئ الامر أي علامة واضحة ولكن بعد مرور وقت قصير من البحث لاح له من بعيد نقطة سوداء تتحرك، شعر بالارتياح؛ لأنه لم يتكبد عناء البحث طويلاً، توجه نحوها بصعوبة، واجهته في اثناء غوص قدميه في الثلج، اقترب اكثر، وجد (ريث) (ذئب قطبي) ابيض يشوبه شيء من اللون الرمادي يحفر حفرة عميقة وبجانبها جثة شخص تضرج بالدم وبقعة كبيرة منه على الثلج لا تزال ساخنة على الرغم من برودة الطقس،

تحدث (ريث) الى الحيوان وهو يؤنبه قائلا:

"ماذا فعلت أيُّها الحيوان الأكثر غدراً وفتكاً؟ لماذا قتلت شخصاً بريئاً"،

أجابه الذئب بثقة:

"هيه! على رسلك أيها الغريب، لا تحكم على شيء من رؤية العين المتسرعة، لم تكن موجوداً منذ دقيقتين كان يمكن ان ترى ما حدث، ربما اراك شخصا يقرأ الطالع ويتفرس في الوجوه ويحشر وجهه في كفوف اليد، على اية حال جميع البشر يحشرون انوفهم في ما لا يعنيهم و جميعهم متوحشون ربما انا أقل وحشية يمكن أن تتصورها، ألم تشاهد بأني أدفنه ولم آكله"؟

فكر (ريث) في ما قاله الذئب القطبي،

"لماذا يدفنه بدلاً من أكله؟ غريب فعلاً"!

"من الذي قتله إذن"؟

"شقيقه على ما يبدو"

"يا إلهي! وهل هذا يعقل ولماذا برأيك"؟!

"ربما أراد أن يصبح عمدة هذه المقاطعة على ما أظن"، صمت الذئب لوهلة ثم أضاف،

"يمكنك توقع أي شيء على هذه الارض فخذ انا مثالاً على ذلك، يصنفونني في قائمة اشرس الحيوانات وأكثرهم فتكاً وغدراً الا انني أدفن جثة شخص أجهز عليه شقيقه منذ بضع دقائق ولم آكله"

"اغفر لي يا اشرس الحيوانات وأكثرهم فتكاً وغدراً لقد ظننت بك السوء"،

أنهى الذئب القطبي تورية الجثة و(ريث) ينظر اليه باهتمام ثم جاء السؤال من الذئب،

"ماذا تفعل هنا في القطب الشمالي أيها الغريب"؟!

" في الحقيقة أبحث عن مقاطعة مجهولة تدعى (مقاطعة الإرادة الحرة)، هل تستطيع مساعدتي أيها الذئب الأكثر غدراً على وجه الأرض"؟

"بكل سرور أيها الغريب فعمدة هذه المقاطعة التي تبحث عنها كان هنا قبل حدوث هذه الجريمة مدة من الزمن ولكنه يستقل زلاجة تجرها مجموعة من الخراف استعان بهم من مقاطعته، فمقاطعته مملوءة بقطعان الخراف، لن تتمكن من اللحاق به الا اذا صنعت زلاجة خاصة بك وهنالك خراف ضالة في كل حدب وصوب يمكنك إيجادهم متى أردت، اما اذا ابت الخراف ان تنصاع لأوامرك فلا تحزن فربما كان

لديها راعٍ غيرك تتبعه او ربما يتبعون كلبا فقط ويقودهم، يمكنني أنَ أخبر أصدقائي الذئاب القطبية يمكننا مساعدتك في جر زلاجتك أن أبت الخراف لا تقلق"!

"شكراً لك يا اكثر الحيوانات غدراً، لا تتعب نفسك وأصدقاءك، ابعث لهم تحياتي وأخبرهم بمدى غدرهم! لا تنسَ ذلك"

"سأخبرهم بالتأكيد، وقبل رحيلك سأخبرك بأمر ربما سينفعك في المستقبل القريب"!

"ما هو يا صديقي الأكثر غدراً"؟

"ان ما تبحث عنه يقبع داخلك"

"شكراً أيها الذئب لن أنسى ما أخبرتني به"

أضاف الذئب القطبي بعد أن شعر بوخز الضمير أو ربما لم يشعر وقال:

"لم أقدم على أكل الجثة الا لشعوري بالشبع، لقد تناولت خروفاً سميناً قبل قليل هه هه هه"

شعر (ريث) بالحزن والشك دخل قلبه وفكر،

"بالفعل كما قال (روبنسون) عليك ان تتوقع أشياء لم يكن عليك أن تتوقعها البتة"

ليس كل من يقدم على المساعدة هو من يجب وضع ثقتنا فيه،

نظر (ريث) بعيني الذئب القطبي رفع كتفيه وقال:

"لا يهم"! رحل (ريث) يشعر باستغراب مستأنفاً سيره،

5

اتجه (ريث) نحو الشمال الشرقي بعد أن خرج من المقاطعة القطبية يسير نهاراً ويتوقف ليخلد الى النوم ليلاً،

بعد مرور أيام كثيرة وصل الى مقاطعة ثالثة بحسب ما تشيره اللفافة وقبل أن يدخل حدود المقاطعة بدأت السماء تزمجر مطلقة دوي انفجار يصم الاذن ومالت السماء إلى الغروب بعد أن تلبدت الغيوم وتوارت أشعة الشمس، تشاءم (ريث) بحدوث عاصفة هوجاء ومطر شديد الغزارة وفكر في إيجاد كهف او أي شيء يقيه شر عاصفة ربما قادمة مغذياً خطاه للأسراع لدخول المقاطعة وإيجاد مكان، بدأت رؤية (ريث) تضعف شيئاً فشيئاً لانعدام أشعة الشمس تدريجياً ولدى تمحيصه الدقيق لإيجاد مكان يأويه لاحظ من بعيد مجموعة اشخاص وحيوانات متحلقين حول شيء ما وعند اقتراب (ريث) اكثر لاحظ وسطهم شخصا متوسط العمر قوي البنية صلب العود ذا بشرة لفعتها حياة التجوال يقوم ببناء هيكل سفينة شراعية وقارب على إنهائه، يمتلك الشخص كل ما هو ضروري لبنائها، ولكن هنالك خطب ما تبينه (ريث) على الشخص وعلى جميع من حوله من

اشخاص وحيوانات، جميعهم يخيم عليهم الصمت والذعر في نفس الوقت والقلق يبدو جلياً على وجوههم المتشائمة،

اقترب (ريث) نحو الشخص الذي يصنع السفينة وقبل أن ينبس (ريث) ببنت شفة قال له الشخص بوجه متعرق وصدر يعلو ويهبط لاهثاً يعاني صعوبة من التقاط أنفاسه والقلق على محياه:

"ماذا تفعل هنا أيها الاحمق؟ انجُ بحياتك! ستهطل عن قريب امطار غزيرة ستغرقنا جميعاً".

ردَّ (ريث) بتهكم وقال:

"ماذا تفعل انت؟ هل تعتقد أنك ستنهي صناعتها قبل أن تغرق المقاطعة"؟!

"بالتأكيد أيها المغفل فأنا عمدتها، لا بد من إنهائها لانقاذ هؤلاء البائسين"

"كيف علمت بهطول امطار؟! يبدو لي انك مخادع وتستغل عقول هؤلاء البائسين"

"قلت لك انك مغفل، بالتأكيد لدي من يخبرني بذلك فلكل شخص مرشده ودليله في هذه الأرض"،

لم يصدقه (ريث) وسأله مجدداً،

"ان كان لديك من يخبرك فلماذا يبدو عليك القلق"؟

أجابه بصوت منخفض لا يسمعه الا (ريث)،

"كم انت ساذج، لا بد من إظهار قليل من القلق حسب درجة فهم عقول من يتبعك، فلولا قلقي لما صدقني أحدٌ"،

انهمك العمدة مرة أخرى في صنع السفينة ثم أضاف بعد وهلة،

"ألا يوجد لديك شيءٌ تستدل به"؟

"بلى لدي ما استدل به الى طريقي، انها لفافة! وانا ابحث عن مقاطعة مجهولة تدعى (مقاطعة الإرادة الحرة)، هل سمعت بها من قبل"؟

"هه ومن هو الشخص الذي لم يسمع عنها؟ وعلى الرغم من نفاد الوقت لكن سأوفر لك القليل منه"

"حسناً، استمر ارجوك"

"ان عمدة المقاطعة التي تبحث عنها كان هنا قبل ان يسوء الطقس وفور خروجه اخذ الطقس يزداد سوءاً، كما ترى أحاول إنقاذ النذر اليسير منهم، يمكنك اللحاق به وأمامك طريقان، الطريق الأول وهو الاسهل بالركوب معي على متن السفينة لكي تنجو بحياتك وتستأنف البحث بعد أن يصحو الطقس، أما الطريق الثاني وهو الأصعب فلأن

مقاطعتي مملوءة بالهضاب وهنالك جبل وحيد يمكنك رؤيته من بعيد انه هناك، وأشار بيده ناحية الجبل، اذهب اليه تسلقه ستجد كهفا في قمته، ستنجو هناك هذا ما أراه، إن لم يكن لديك رأي آخر فلتسرع لأنها قادمة"،

بدأت أولى قطرات المطر بالهطول وقام العمدة بإنهاء صنع السفينة وبدأ يدخل الأشخاص والحيوانات جميعاً داخلها، بقي العمدة بمفرده مع (ريث) مسح جبينه من العرق وقال:

"اعلم أنك لن تركب على متن هذه السفينة وستفضل الذهاب الى الجبل ولكن تذكر أمرا ربما سينفتح في رحلتك اذ نجوت".

صمت لوهلة ثم قال:

"ان ما تبحث عنه يقبع داخلك"،

شكر (ريث) العمدة وصرف نظره نحو قمة الجبل البعيدة وسار نحوه،

أصبحت السماء حالكة بعد وصوله الى الجبل، لم يتأخر (ريث) في تسلق الجبل وصولاً الى قمته، وفعلاً وجد في قمته كهفا وفور دخوله هطل المطر بشدة لم يسبق ان رأى مثله خلال حياته وبعد مرور ساعات قليلة غرقت المقاطعة بأكملها ووصلت مياه الأمطار الى سفح الجبل، وبعد مرور

أيام عدة عادت ارض المقاطعة الى ما كانت عليه بعد ان امتصت جميع المياه واستأنف (ريث) رحلته،

6

توجه (ريث) صباحاً نحو الشرق كما أشارت اللفافة، لم يستوعب ما حدث له خلال رحلته لغاية الان فالجميع حاولوا إرساله الى ضالته ولكن لم يتمكن من معرفة من هو صاحب الإغواء الذي تحدث عنه (روبنسون) ومن هو صاحب الحكمة، شعر بالحيرة واخذ يستحوذ الشك على عقله ويدب في قلبه، استنفد (ريث) طاقته الفكرية والجسدية حين ربض داخل الكهف اعلى الجبل ونفد جميع ما يملكه من طعام وشراب جعله ذلك يبحث عن شيء يسد رمقه، بعد خروجه من المقاطعة التي أغرقتها مياه الأمطار سار دون توقف داخل غابة كثيفة الأشجار بجذوع ضخمة جداً وكل شيء من حوله بني اللون وأشعة الشمس تلقي بضوئها الذي يتخلل الأشجار على أرض فرشت بأوراقها واغصانها المتيبسة تبدو لمن ينظر اليها بأن هنالك قطعا ذهبية لامعة ولكن سرعان ما يسحقها (ريث) بقدميه محدثة أصوات حجرشة جعلته مطرق الرأس نحو الأرض طوال سيره أنساه ذلك شعوره بالجوع والعطش، عند توغله في الغابة وبعد أن نال

منه التعب والارهاق وعلى الرغم من أن جو الغابة رطباً وأشعة الشمس محجوبة جزئياً الا انه تعرق بما يكفي وفقد سوائل كثيرة من جسمه،

مسح وجهه من العرق بواسطة يده ونظر نحو الأشجار الكثيفة لعله يجد شيئا ما علامة تدله على طريقه، وبالفعل وجد كوخا صغيرا خشبيا يتوارى خلف الأشجار على بعد مئة قدم منه، غمرته السعادة وغذا الخُطا متجهاً نحوه، وصل (ريث) بالقرب من الكوخ فوجده كوخا جميلا جداً من الخارج على الرغم من صغره وشعر بأن هنالك من يسكنه، توجه نحو باب الدخول وطرقه مرتين بقبضة يده، كانت تحتوي على مقبض خارجي يمكن فتحه من خلاله، وبعد أن طرق الباب انتظر (ريث) الإذن بالدخول وكان مملوء بالثقة وبعد ثوانٍ معدودة سمع صوتا من الداخل يأذن له بفتح الباب والتفضل بالدخول،

"افتح الباب وتفضل بالدخول"!

مسك (ريث) مقبض الباب وفتحه دفع الباب وهمَّ بالدخول، وجد داخل الكوخ رجلا كبير السن يجلس على كرسيه الهزاز الخشبي يمسك بيده إبرة يخيط بها قماشا ينسدل على قدميه ويغطيها بالكامل، انه رجل كبير السن شعره طويل فضي اللون أملس ينسدل على أذنيه، ووجهه عريض أبيض

البشرة شاحبة، وعيناه واسعتان سوداوان ذات رموش طويلة بلون شعره ولحيته كثيفة وطويلة بفم صغير باسم وعذب يرتدي نظارة نصف دائرية يضعها على أنفه المتناسق يرمي على كتفه عباءة سوداء طويلة،

جلس الرجل وبجانبه طاولة صغيرة قريبة جداً عن متناول يده، وضع عليها جرة من الفخار ذات فوهة واسعة مترعة بالماء العذب وبجانبها رغيف خبز دائري ساخن وطبق من الفواكه بصنوف متنوعة لم يمس الرجل شيئا من الطعام كأنه كان بانتظار شخص ما ليقوم بضيافته،

توقف (ريث) امام الرجل فقام الأخير بترك عمله الذي بين يديه ونظر الى (ريث) بابتسامة عذبة وقبل أن ينبس (ريث) ببنت شفة استوقفه الرجل وأمره بجلب كرسي خشبي من الطاولة والجلوس بجانبه،

"مرح ...ب"!

"تناول كرسي من هناك واجلس بجانبي يبدو عليك الإرهاق يا صغيري"

أطاعه (ريث) وجلس بجانبه ثم بدأ الرجل بالكلام وقال:

"تناول الطعام واشرب الماء يبدو على وجهك التعب فلم تتناول شيئا منذ مدة هذا واضح!، تفضل يا صغيري لا تخف"

أجابه (ريث)،

"شكراً لك سيدي"،

تناول (ريث) الطعام وشرب الماء من الجرة الفخارية كان الخبز ساخناً والفاكهة لذيذة والماء عذباً لم يتذوق مثل هذا الطعام في حياته وحين فرغ من تناوله للطعام قال للرجل:

"شكراً لك سيدي على حسن ضيافتك، كنت جائعاً فعلاً"

شعر (ريث) بارتياح كبير بعد تناول وجبته وأجابه الرجل،

"لا تشكرني بني فإن ما تناولته ليس من عندي"!

"إذن، من أين هذه المائدة"؟!

" لا علم لي فكل ما أتناوله يأتيني جاهزاً وساخناًعندما أشعر بالجوع، ولكن هذه المرة الطعام ليس لي انه مجهز لك"،

شعر (ريث) بامتنان كبيروتعجب لأمر هذا الرجل الغريب، وكيف يحصل على طعامه وشرابه من دون عناء، وبعد ذلك فكر في كيفية سؤاله عن وجهته مطرق الرأس،

"ربما كان يعلم شيئا عن امر المقاطعة"،

فتفاجأ (ريث) عندما قال الرجل له:

"تبدو الحيرة على وجهك ولديك أسئلة لي في جعبتك، يمكنك ان تسأل ما شئت"

"وكيف علمت بهذا سيدي"؟

"اعلم أمورا كثيرة لا تعلمها انت، يبدو عليك انك شاب حاذق وحكيم"،

توقف الرجل عن الكلام وانهمك في غرز إبرته، في كل مرة يغرز بها الابرة داخل القماش ويسحبها من الجهة الأخرى يتمتم بكلمات غير مفهومة وفِي كل مرة ينظر (ريث) الى وجه الرجل حينها فيجده اكثر نضاره من ذي قبل، اطمأن قلب (ريث) له وقرر ان يسأله عن المقاطعة المجهولة وقال:

"منذ أيام عديدة وانا مسافر للبحث عن مقاطعة مجهولة تدعى (مقاطعة الإرادة الحرة) ولم أصل اليها الى الان، أراد الكثيرون مساعدتي ولكن لم أصل الى وجهتي"؟،

أجابه الرجل،

"ولن تصل اليها مطلقاً بني"!

"ولماذا يا سيدي"؟!

"لأنها ليست بالشيء الذي يتصوره عقلك"،

شعر (ريث) بالإحباط لدى سماعه هذا وقال:

"لم أفهم ما تعنيه بكلامك هذا"؟

"ستفهم عندما تجد عمدتها سيخبرك بما تريد معرفته، يمكنك أن تنام الليلة هنا سيجعلني ذلك سعيداً واستأنف رحلتك صباحاً واعلم ربما ما تبحث عنه يقبع داخلك، هذا ما أراه فعلاً"،

قضى (ريث) ليلته داخل الكوخ الخشبي الصغير وشعر بارتياح شديد داخله، وفِي صباح اليوم التالي زوده الرجل بكل ما يحتاج اليه من طعام وشراب وتمنى له السعادة،

7

الجو حار جداً وأشعة الشمس عمودية على رأس (ريث) انها بداية الظهيرة، سار تحتها وهو يفكر في كلام الرجل الذي بات عنده ليلة البارحة والعرق يتفصد من جبينه وصدغيه يسيل من تحت قبعته، أصبحت رؤيته ضبابية والسراب يتكون بين الحين والآخر في الأفق، عندما خرج (ريث) من الغابة توجه نحو الجنوب الشرقي وجهته الأخرى التي يتعين عليه المرور من خلالها كما أشارت اللفافة، كان الطريق عبارة عن وهاد صحراوية واسعة ذات رمال ساخنة وقيض شديد، سار (ريث) مسافة طويلة داخل المنطقة الصحراوية تعرق بما يكفي وفقد سوائل كثيرة من جسمه لم تعوضها المياه التي زوده بها الرجل وقرر تناول بعض الطعام المالح لشعوره بالدوار تحت أشعة الشمس، لم يكن هنالك شيء يحتمي به من أشعة الشمس سوى قبعته فقرر تناول طعامه في أثناء سيره ليكسب الوقت ايضاً وعند انتهائه من تناول آخر لقمة له لاح من بعيد بناء وسط الصحراء وعند الاقتراب منه وجد البناء اشبه بالمعابد الإغريقية القديمة ذا أعمدة طويلة، سقفه مفتوح تحت السماء

الزرقاء الخالية من الغيوم بدا لـ(ريث) كأنه لوحة فنية وقطعة ذهبية متوهجة تحت أشعة الشمس الحارقة، اقترب (ريث) اكثر نحو بوابة الدخول وهي مجرد بوابة مرتفعة من غير مصراع يغلق، دخل (ريث) من البوابة الرئيسة للمعبد محاولاً استيعاب ما رأه داخل البناء لم يتوقع رؤية منظر كهذا وسط صحراء قاحلة، فور دخوله من البوابة الرئيسة كانت هنالك أعمدة مرتفعة من جوانبه الداخلية في باحة واسعة بشكل متقابل ومزخرفة على الطراز القوطي وخلف هذه الأعمدة مساحة واسعة لا بأس بها من جنة خضراء متناسقة النمو محاطة بأنواع مختلفة من الزهور بألوانها جميعاً تخطف الانفاس وفِي وسط هذه الجنة تبزغ شجرة النخيل فارعة ومثمرة بالتمر، كل شيء داخل البناء متقن من غير شائبة تذكر، جعل (ريث) يشعر بالدهشة لدى رؤيته لهذه المناظر وتعجب لوجود كهذا البناء بنباتاته داخل صحراء قاحلة، سار (ريث) الى نهاية ممر يؤدي الى نهاية الباحة الرئيسة كان الهواء في الباحة منعشاً على الرغم من حرارة الطقس في الخارج، وصل الى باب عملاقة من الخشب الثقيل يبلغ ارتفاعها ضعف طول (ريث) وفِي وسط الباب من كلتا الجهتين نقش لرأس أسد بارز حجمه بحجم كرة القدم وفِي وسط فمه حلقة معدنية للطرق، رفع (ريث)

يده نحو حلقة الطرق وكان عليه مد ذراعه بشكل عمودي ويوترها لنهايتها لكي يستطيع أن يمسك بالحلقة،

فكر (ريث)،

"من الواضح ان من يسكن هذا البناء هو شخص غير اعتيادي انه شخص خارق"،

شعر بالخوف ولكنه واصل ما أراد فعله وطرق الباب بقوة،

فتحت الباب من جهتها اليمين ببطء بعد أن خفض يده وأصدرت صوت حجرشة كأنها لم تفتح منذ دهر مضى، وقف (ريث) على عتبتها كان كل شيء في الداخل مظلماً ولم يستطع أن يتبين ما في الداخل، لفح (ريث) هواء بارد جاف من الداخل واستقر نسيم هادئ وعبق عتاقة المكان في انفه جعله يشعر بهدوء خالص لامس روحه وعقله وسكن قلبه، ولج (ريث) داخل البناء وبعد مدة قصيرة اعتاد رؤيته وبدأت الأشياء تتضح له، بلاط مربعات كبيرة باللونين الأسود والأبيض كرقعة الشطرنج تحت قدمه بمساحة واسعة وأيقونات من الرخام وتماثيل جصية عملاقة، تقدم (ريث) ببطء أحدث حذاؤه الجلدي طقطقة صوت مرتفع جعلت الصدى يرتطم بنهاية المكان وعودته مجدداً، توقف (ريث) في وسط المكان ونظره موجه نحو الامام لا يعلم ما ينتظره، وبعد مرور دقيقة كاملة أضرمت نار من مشاعل معدنية

على جانبيه من غير تدخل يد في اضرامها، شعر (ريث) بالارتياب وشهق من الخوف أحدثت شهقته صدى داخل البناء وعند نهاية صدى شهقته بزغ نور فضي اللون امامه، تقدم نحوه ببطء لكي يرى مصدره وصل الى مدرجات حجرية عددها خمسة ونهايتها يتربع ملك على عرش لا يرتدي الملك تاج وإنما يعتمر قبعة خاصة بالساحرين وفِي يده عصا سحرية خشبية كانت هي مصدر النور الذي بحث عنه (ريث)، كان الملك حجمه ليس بالحجم الاعتيادي فهو عملاق كما توقعه (ريث) عند دخوله من الباب،

بدأ الملك بالكلام وقال:

"اقترب يا هذا وقل لي ما هو مبتغاك"؟

"مرحباً جلالتك ليس لي مبتغى! انا مسافر ومررت بقصرك لم يكن هنالك أي شيء بالجوار سواه فشعرت بالفضول قليلاً"

"الفضول ..الفضول دائماً هو الفضول سيقتل البشر لا مناص من ذلك"،

صمت الملك لوهلة ثم قال:

"لن تجد شيئاً آخر غير قصري فأنا عمدة هذه المقاطعة وسكّان مقاطعتي هلكوا جميعاً"

"ولماذا هلكوا جلالتك"؟

"لأني أردت ذلك أيها الاحمق ها ها ها"،

"انا ساحر أحقق جميع الرغبات وكانت رغبتهم هي هلاكهم وعلى اية حال انا أردت أن يهلكو"

"هل تستطيع أن تحقق رغبتي انا ايضاً"؟

"بالتأكيد فأنا ساحر أيها المغفل، أي شيء تريد اطلب فقط"

"انا مسافر منذ مدة طويلة ابحث عن مقاطعة مجهولة تدعى (مقاطعة الإرادة الحرة) ولم أجدها الى الان، هل تستطيع ان ترشدني إلى طريقها"؟

"انه شيء بسيط جداً ولكن لماذا عانيت البحث؟ سأضع المقاطعة ومن فيها بين يديك الان لاتتعب نفسك وتذهب اليها"!

" كيف تفعل ذلك جلالة الملك"؟!

"بالعصا السحرية هذا مؤكد، يا لك من مغفل بالفعل، سأحقق ما تريد ولكن هناك شرط واحد فقط"

"ما الشرط"؟

"سأخبرك وتأكد وافهم انه لا يمكن أن تأخذ شيئا دون أن تعطي مقابله شيئا آخر"،

صمت الملك لوهلة ثم أضاف،

"الشرط هو أن أعلمك بعضا من سحري"!

فكر (ريث) وتفاجأ بشرط الملك،

"يقول لي أعطي وستأخذ وما سيعطيني هو السحر وبماذا سينفعني وعمدة المقاطعات السابقة بعضهم عرض علي أشياء وبعضهم الاخر أراد توجيهي نحو طريق"،

وفكر (ريث) أيضاً بنصيحة (روبنسون) بشأن الإغواء الذي سيتعرض له وقال للملك:

"لا رغبة لي في تعلم السحر جلالة الملك، شكراً لك"

"هذا من شأنك يا صغير لن أكرر عرضي مرة أخرى"

كزَّ الملك اسنانه واخذ نفساً عميقاً وأردف يقول،

"لديَّ رغبة في قتلك يا صغير ولكن هنالك ما يمنعني"،

استدار (ريث) نحو الخلف باتجاه الباب وجرى بسرعة البرق وعند خروجه منها، ارتجف من قمة رأسه الى أخمص قدميه وسار مرتجفاً لا يلوى على شيء،

توجه (ريث) نحو الجنوب بعد أن خرج من المقاطعة التي يحكمها (الملك الساحر) وسار أياما وأياما ووصل الى مقاطعة قطبية تحتوي على تلال وهضاب بقمم ثلجية ووديان منخفضة، كان الطقس باردا جداً حينها، انها وجهته الأخرى المسطورة في لفافات وعند مروره من جانب احد الوديان غير العميقة سمع صوتا يصرخ عالياً من الأسفل،

"انا جائع.. انا جائع، يا إلهي سأموت جوعاً أشعر بالعطش الشديد"،

توقف (ريث) واقترب من شفا الوادي، فوجده واديا بعمق خمسين قدماً لا يحتوي على نتوءات وأحجار بارزة من باطنه أملس من داخله، مدَّ (ريث) رأسه نحو الأسفل ليرى مصدر الصوت (الصراخ) وجد شخصا في الأسفل يرتدي أسمالا ملطخة بالوحل والاوساخ ولكن هيأته تدل على انه ليس بالشخص الاعتيادي فوجهه يتلألأ، جميل جداً يضع على رأسه إكليل الغار، عيناه واسعتان سوداوان يمكن رؤيتهما من بعيد شعره أسود متموج يتخلله خصل فضية ينسدل على أذنيه ولكنه أعجف من شدة الجوع والعطش لا يزال في ريعان شبابه،

صرخ (ريث) ناحيته وقال:

"هيه! ماذا تفعل هنا من أنت ولماذا تصرخ هكذا"؟

"حمداً لله لم يضعْ ندائي سدى، من انت أيها الشاب وكيف وماذا جاء بك الى هنا"؟

"انا مسافر، من انت بحق السماء ولماذا انت بهذه الحالة المزرية؟ من فعل بك هذا"؟

"انهم سكان مقاطعتي رموني بهذا الوادي كما سقطت ثمرة التفاحة على رأس (نيوتن) منذ سنوات وانا هنا وأعيش على ما ترميه الطيور من بقايا الطعام وأشرب مياه الثلج بعد ان تذوب بيدي الدافئة"

كان الاثنان يتبادلان الكلام بالصراخ، صمت عمدة المقاطعة ثم أضاف،

"هل لديك بعض الطعام والماء"؟،

أجابه (ريث)،

"لديَّ بعض الطعام ولكن الماء لا أستطيع أن أعطيك منه فلا أملك سوى هذه الانبوبة واذا رميتها لك لن أتمكن من جمع الماء ثانية"

"كما تحب أيها الشاب فالماء متوفر الان كما قلت لك أقوم بتذويب الثلج واشرب ولكنه لا يرويني ليكن ما تريد ارمي الطعام فقط"،

وعندما بحث (ريث) عن الطعام داخل حقيبته رأى لفة الحبل الطويلة التي أخذها معه في بداية رحلته وشعر بالفرح؛ لأنه سينقذ عمدة هذه المقاطعة البائس وينتشله من قلب الوادي بعد أن عانى سنوات طويلة في أسفله وقال:

"انتظر أيها العمدة سأقوم بانقاذك"،

رمى (ريث) الحبل الطويل وقام بتثبيته بواسطة صخرة بارزة وأحكم تثبيته وصرخ للعمدة وقال:

"يمكنك التسلق الان"،

تسلق العمدة الحبل بصعوبة بالغة ووصل القمة، اضطجع على ظهره وشكر الإله لإرسال الشاب له ثم نهض وقال:

"شكراً لك أيها الشاب الطيب كيف سأرد لك الجميل"؟

"لا تشكرني أيها العمدة أريد فقط الوصول الى مقاطعة مجهولة تدعى (مقاطعة الإرادة الحرة)، هل باستطاعتك مساعدتي"؟

"قبل قليل كان عمدة هذه المقاطعة يقف مكانك وحاول مساعدتي ولكنه لا يملك حبلا مثلك وغادر، لا أعلم أين

تقع هذه المقاطعة ولكن أعلم أن ما تبحث عنه يقبع داخلك"، شكر (ريث) العمدة وتمنى له العمدة السعادة،

9

جلس (ريث) على عوامته التي صنعها من خشب جذوع الأشجار والحبل الذي بحوزته بعرض البحر متوجهاً نحو المقاطعة الجديدة المشار إليها في اللفافة جنوب الغرب، وصل الى اليابسة كانت المقاطعة صغيرة المساحة مقارنة ببقية المقاطعات السابقة محاطة من جميع جهاتها بالماء، نزل من على متن العوامة وجرَّها نحو اليابسة لاستخدامها مرة أخرى عندما يخرج من المقاطعة، توجه (ريث) نحو العمق سيراً، انها مقاطعة مملوءة بالأعشاب المائية والشجيرات الصغيرة،

وصل (ريث) الى نهاية المقاطعة من طرفها الاخر المقابل لعوامته وعلى حافة البحر كان هنالك رجل يجلس على صخرة مكورة في الطين غرست لمنتصفها عاريا كلياً من قمة رأسه الى أخمص قدميه يجلس القرفصاء ماسكاً كلتا قدميه يجذبهم نحو صدره ويضع رأسه على ركبتيه ينظر نحو أمواج البحر المتلاطمة معطياً ظهره العاري لـ(ريث)،

كان الجو رطباً والسماء تميل الى الغروب، تقدم (ريث) ناحية الرجل وألقى التحية عليه وقال:

"مرحباً"!،

استدار الرجل برأسه فقط ألقى نظرة كان حزيناً وربما كان يبكي لم تكن تظهر دموعه؛ لأنه كان مبللاً بالماء،

"مرحباً أيها الشاب"،

أعاد الرجل نظره نحو البحر ثانية،

"لماذا انت عارٍ يا سيدي هل أستطيع مساعدتك"؟،

أجابه الرجل من غير أن ينظر اليه و(ريث) لا يزال خلف ظهره وقال:

"ان كان لديك ثياب إضافية، فقط بهذا يمكنك أن تساعدني"!،

أخرج (ريث) ثيابه الاحتياطية من حقيبته وقدمها للرجل، مدَّ الرجل يده من خلف ظهره استدار (ريث) ثواني معدودة ثم سمع الرجل يقول له:

"يمكنك النظر أيها الشاب انتهيت من ارتداء الملابس"،

استدار(ريث) نحو الرجل ووجده واقفاً منتصباً بقامته ناحيته بثيابه مرتباً شعره المبلل نحو الخلف،

ابتسم (ريث) ابتسامة عذبة بوجه الرجل اشبه بابتسامة أُمّ حين أنهت تحميم صغيرها وسأله:

"لماذا انت على هذه الحالة يا سيدي"؟

أجابه الرجل:

"انا عمدة هذه المقاطعة أيها الفتى ومنذ سنين خلت كنّا انا وسكّان مقاطعتي نعيش في سعادة غامرة، وفِي يوم من الأيام خرجنا بقاربي الكبير محملين بأغراض كثيرة لكي نصطاد الأسماك وحدث أن هبت عاصفة في عرض البحر أدى تلاطم أمواجه الى حدوث ثقب في قاربي جعلنا نرمي كل ما نمتلكه من أغراض على متنه للتخلص من الوزن الزائد وعندما لم نجد ما نرميه قرروا جميعاً أن يرموا احد الأشخاص في عرض البحر، أصبحت في هذه الساعة واحداً منهم وليس عمدتهم لم يطيعوا أوامري واقترحوا أن يرموا الشخص الأكثر وزناً ولكن سرعان ما بينتُ لهم مدى ما في الامر من ظلم مفرط وحينها تجادلوا كثيراً واقترحوا بعض الاقتراحات لكن الوقت لم يكن يسعفنا كان لا بد من إيجاد حل من الحلول السليمة فاقترحت عليهم أن نجري قرعة بالأوراق ومن سوء حظي او ربما من حسن حظي وقع الاختيار علي وكان لا بد من رميي في عرض البحر، رموني في عرض البحر تصارعت مع الأمواج مدة طويلة

ولحسن حظي وسوئه في آنٍ واحد ابتلعتني سمكة كبيرة جداً وبقيت في جوفها سنوات اقتات على ما تبتلعه من طعام وماء، والآن انا هنا بعد أن رفضني جسم السمكة"!

"وماذا حلَّ بسكان مقاطعتك"؟

"هلكوا جميعاً ابتلعتهم الأمواج على ما أظن، وانا حزين جداً عليهم"!،

صمت العمدة يشعر بالحزن ثم أضاف:

"ماذا تفعل انت على مقاطعتي، هل تحتاج الى المساعدة"؟

"اجل سيدي العمدة أحتاج فعلاً فأنا مسافر أبحث عن مقاطعة مجهولة تدعى (مقاطعة الإرادة الحرة) هل لديك معلومات في كيفية الوصول اليها"؟،

تنهد العمدة ومسح وجهه بيده من الماء وقال:

"أودّ بشدة مساعدتك أيها الشاب ولكن لا علم لي بهذه المقاطعة ولكن أظن أن ما تبحث عنه يقبع داخلك"،

شكر (ريث) العمدة وشكر العمدة (ريث) وتمنى له السعادة.

10

صعد (ريث) على متن طوافته متوجهاً نحو مقاطعة جديدة غرباً وعند وصوله دخل المقاطعة، تعجب منها فكل ما تحتويه من أشجار وصخور وأعشاب وأكواخ وحصاة وحيوانات كل شيء فيها هو من الماس الطبيعي البراق، لم يجد (ريث) شيئا يأكله أو يشربه فكل شيء تحول الى ماس فقط الهواء هو الهواء نفسه والا لما تمكن (ريث) من استنشاقه لو كان من الماس، بحث في كل مكان وفِي جميع الاتجاهات وجد كوخا وحيدا من الخشب لم يتحول بعد أن توجه نحوه طرق الباب وبعد مدة فتح الباب رجل كبير السن يرتدي نظارة دائرية الشكل، شعره ابيض كالثلج طويل ولحيته كثيفة وطويلة يضع غليونه جانب فمه ويرتدي قفازين في يده يحمل انابيب اختبار كيميائية فيها محاليل مختلفة الألوان،

"تفضل يا فتى ماذا تريد"؟

"أرجو ألا أكون قد تسببت في إزعاجك يا سيدي ولكنني مسافر أبحث عن مقاطعة مجهولة تدعى

(مقاطعة الإرادة الحرة) ومررت بهذه المقاطعة ووجدت ان كل ما فيها قد تحول إلى ماس، وكوخك هو الشيء الوحيد الذي لم يتحول فهل تستطيع مساعدتي يا سيدي"؟

أجابه الرجل وعلامات الانزعاج تبدو عليه واضحة وقال:

"كما توقعت انت يا فتى لقد أزعجتني بالفعل ولكن على الرغم من هذا سأساعدك ولكن بشرط واحد"!

"تفضل سيدي ما شرطك"؟

"أن تعطيني كل ما بحوزتك من أغراض لأحولها إلى ماس ما رأيك"؟

"ولكن ما بحوزتي هو ما أحتاج اليه"

صمت (ريث) وفكر:

"لو أعطيته كل ما أملك واللفافة أيضاً وحولها الى ماس كيف أصل الى المقاطعة المجهولة"؟

ولكنه لم يوافق على شرط الرجل الخيمياء واستدار ليكمل طريقه،

11

المطر غزير ينهمر في المقاطعة الاستوائية التي توجه نحوها (ريث) كأنها لم تمطر منذ دهر والوقت الذي دخل فيه المقاطعة كان ما بعد الظهيرة، حاول جاهداً الإسراع لكي يدخل إلى الغابة لكي تقيه الأمطار الغزيرة كانت السماء ملبدة بالغيوم الرمادية والجو شاحب والطيور والحيوانات مختبئة، هدوء يخيم على الغابة فقط صوت سقوط المطر على أوراق الأشجار، سار (ريث) داخل الغابة ملطخا بالوحل ومبللاً بمياه الأمطار وصل بالقرب من كوخ خشبي مرتفع وبمدخنة معدنية موقدة يتصاعد منها الدخان خارجاً يرتكز الكوخ على جذوع أشجار عريضة وفِي مقدمتها سلم خشبي جعل هذا المنظر الذي رأه (ريث) يشعر بالغبطة ويطمئن قلبه لهذه الرؤية، صعد سلم الكوخ وطرق بابه يتأمل خيراً، فتح الباب رجل مسن يرتدي عباءة طويلة بقلنسوة يضعها على رأسه الأشيب يرتدي نظارة مستطيلة الشكل ينظر من فوقها بعينين نصف مغمضتين، كان الرجل طويل القامة ويملك من الوقار ما يمكن ملاحظته على وجهه

الممتلئ المتهدل بشكل واضح، بعد أن فتح الباب ولدى رؤيته لـ(ريث) قال قبل أن ينبس (ريث) ببنت شفة:

"تعال ادخل بسرعة، تفضل يا فتى، ياإلهي! يبدو عليك التعب والأمطار نالت منك، تفضل عزيزي لا تخف فأنت الان في أمان"،

أجلسه على كرسي خشبي قرب الموقد وأحضر له غطاء صوفيا وضعه على ظهره وكتفيه المبللين وأعدَّ له شاياً ساخناً في كوب كبير، احتسى (ريث) شايه وأفرغه بثلاث جرعات متتالية شعر من خلالها بالدفء يسري في جسده وبدأ يتحدث الى الرجل وقال:

"شكراً يا سيدي لولاك لقضي علي في الخارج"

"لا تشكرني يا صغيري فهذا واجبي والآن تحدث ماذا حلَّ بك وكيف وصلت الى هذه المقاطعة"؟

"انا مسافر ياسيدي أبحث عن مقاطعة مجهولة تدعى "(مقاطعة الإرادة الحرة) ولديَّ خريطة تشير الى أن هذه المقاطعة هي ما قبل الأخيرة مررت بها ووجدت كوخك وها أنا هنا فيه"،

أجابه الرجل وقال:

"لم تخطئ لفافتك عزيزي فعلاً انها وجهتك الصحيحة وانت في المكان الصحيح، ولكنك تأخرت كثيراً كنت بانتظارك منذ زمن بعيد والآن سأخبرك بكل شيء تودّ سماعه ومعرفته عن المقاطعة التي تبحث عنها سأرسلك اليها لا تقلق"،

غُبط (ريث) بعد هذا العناء الذي كابده وسرت الحيوية في جسده بعد مرور هذه الأشهر الطويلة ومروره بتحولات عديدة أنهكت قواه.

أخبره الرجل بكل ما يودّ سماعه عن المقاطعة المجهولة وأين موقعها ومن هو عمدتها وتبين لـ(ريث) أن الرجل الذي يتحدث اليه هو عمدة المقاطعة الاستوائية وهو حكيم من الحكماء وبقي طوال الليل يفكر في المقاطعة المجهولة وما قاله الحكيم عنها وعن عمدتها.

وفِي صباح اليوم التالي كان الطقس صحوا والأمطار متوقفة، أعطاه الحكيم كل ما يحتاج اليه لإكمال رحلته وتمنى له السعادة.

12

لم يكن (ريث) يتوقع أن المقاطعة المجهولة التي يبحث عنها والتي بحثت عنها عائلة (روبنسون) هي مقاطعة عربية في الأصل وعمدتها من أصول عربية.

توجه (ريث) صوب المقاطعة العربية وهي وجهته الأخيرة، وصل اليها بعد سير أياما عدة شعر خلالها بالجذل ولم يواجه أي صعوبة خلال سيره نحوها وقبل دخول حدودها تفاجأ من جلوس رجل على شفا حدود هذه المقاطعة على كرسي خشبي كبير يتسع لشخصين يضع كلتا يديه تحت ذقنه ممسكاً به ويسنده براحتي كفيه وأصابعه ملاصقة لخديه وهو ينظر صوب المقاطعة كأنه ينتظر شيئا ما ولا يبدو عليه نفاد الصبر.

اقترب (ريث) من الرجل لم يرَ رجلا بجمال وجهه وحسن مظهره في حياته فوجده كأنه قمر مكتمل وصافٍ وهو في نهاية العقد الرابع وبداية العقد الخامس من عمره ضخم القد ممتلئ صلب العود شاربه خفيف ولحيته كثيفة وطويلة

سوداء مرتبة بعناية يرتدي الزِّي العربي أبيض اللون وعباءة طويلة بيضاء وعلى رأسه يضع قماشا ابيض ناصعا وفِي قدمه صندل جلدي، كل شيء فيه على أدق ما يكون،

تقدم (ريث) وأصبح الان امامه ألقى التحية عليه بلغته العربية وبعد ذلك نظر الرجل اليه وفسح له المجال بجانبه على كرسيه الخشبي الكبير وأشار الى (ريث) بالجلوس،

أطاعه (ريث) من غير أن يعترض وشعر بالأمان بعد أن جلس بجانبه واطمأن قلبه وبعد جلوسه قال الرجل له بحزن عميق:

"أنا عمدة المقاطعة التي تبحث عنها يا بني لقد وصلت الى ضالتك ولكن لن تجدها بعد الان فهي لم تعد موجودة! ولم أعد عمدتها ابداً"!،

تحدث(ريث) اليه وقال:

"اعلم أن الوقت غير مناسب بتاتاً لأسألك مثل هذا السؤال ولكن لا بد منه فأنت من يملك الاجابة".

صمت لوهلة ثم أضاف:

"ما الغاية من العيش في هذه الحياة؟".

أجابه العمدة:

" لن نتمكن من معرفة ما هي غايتنا من العيش إلا عندما ننفق من الحياة، واذا علمنا الغاية لن نستطيع الاستمرار فيها."

صمت العمدة ثم أضاف:

"الحياة هي جري متواصل، واعلم يا بني أنه ليس هناك شخص يجد السلام الداخلي فيها الا اذا اكتشفت ما في داخلك من أسرار"

جعل (ريث) مذهولاً وقرر ترك أسئلته الشخصية وقال:

"إذن، ماذا تفعل بجلوسك هنا يا سيدي؟"

"كنت أبحث عن مقاطعتي ايضاً مثلك تماماً ولم أجدها لقد فات الآوان والان هي تحت سلطان رجل مسن من مقاطعة أخرى وأي رجل ها ها ها .. انه آيقونة خضع له سكان مقاطعتي بعد أن غبت عنهم وأصبحوا مجموعة من القطيع براعٍ لم يشاهدوه قطٌّ انهم قطيع يقودهم الكلب فقط وأقنعهم الكلب بوجود راعٍ.

في ما مضى أطلقت على مقاطعتي (مقاطعة الإرادة الحرة)؛ لأنه كان لديهم حرية الاختيار بين الخير والشر والآن بعد أن أصبحوا قطيعا فقدوا الخيارين معاً يجرون وراء كلب من غير وعي ولا إرادة، أما أنا فأنتظر، سأنتظر هنا لآخر

عمري سأنتظرهم ليعودوا الى رشدهم سأمكث هنا وأنا أنظر إليها من بعيد فلا بدّ ليوم من الأيام أن تعود (مقاطعة الإرادة الحرة) من جديد"، أو من يعلم ربما سيظهر عمدة جديد لمقاطعتي!...

النهاية

بعد أن عثر (ريث كيرت) لـ(مقاطعة الإرادة الحرة)، وايضا بعد أن علم ووجد ضالته التي كان يبحث عنها لم يعد حينها الى عائلته، أما (عمدة المقاطعة الحرة) الذي كان ينتظر على حدودها فبقي جالسا لكي يرى ما ستؤول اليه أحداث مقاطعته من تغيير وحينها اقترح (ريث كيرت) على العمدة أن يدخل الى المقاطعة التي رفض عمدتها الدخول اليها ليقوم بحمل رسالة عمدتها السابق بصفته عمدة جديدا لمقاطعتهم ينذرهم لكي يعودوا الى رشدهم ليتركوا اتباعهم لراعٍ مجهول لم يروه من قبل ولم يعلموا عنه شيئا إن كان يعود عليهم بمنفعة أو عكس ذلك، ولكن عمدة المقاطعة الحرة يرفض اقتراح ريث ولفكرته ويقول له:

" بأنه لم يتبقَ شيء جديد يقوله لهم وإنه حاول اخبارهم ما لا يمكن لأحد غيره أن يخبرهم وأيضا أخبرهم بأنهم أن استمروا باتباع الراعي المجهول سينالون عقابا من الإله بسبب مخالفة قوانينه"

ولكن ريث شعر أن هنالك ما يخبره من داخله أنه لا بد من دخول المقاطعة وإخبار سكانها بما سيواجهونه في الايام القادمة، ولكن استسلم ريث وأذعن لما قاله له العمدة، وبعدها شعر بالإرهاق ونال منه التعب واستسلم للكرى فاستلقى بجانب عمدة (مقاطعة الإرادة الحرة) ووجد بجانبه الطمأنينة فما برح أن أغمض عينيه حتى رأى رؤيا غاص في داخلها كأنه لبث ليالي كثيرة متواصلة من النوم ولكنه في الحقيقة لم يلبث سوى ساعة واحدة فقط، وحين استيقظ ريث من نومه أخبر العمدة بما شاهد من رؤيا جعل العمدة يوافق على دخول ريث الى مقاطعته لكي يخبرهم بما جاء به من رسالة لهم قبل أن يفوت الاوان، وهذا ما حدث فعلا، دخل ريث المقاطعة وأخبرهم برسالته وأنذرهم بحلول شيء في الايام القادمة وبعد ذلك وخلال ايام قليلة من رؤيا ريث تحقق ذلك وتم إهلاك مقاطعة الارادة الحرة بواسطة حمم بركانية، أما ما حدث لعمدة (مقاطعة الارادة الحرة) فعند دخول ريث اليها وبعد أن هلك الأشرار بالحمم البركانية اختفى العمدة وأصبح ريث هو عمدة (مقاطعة الإرادة الحرة)، وبذلك وجد (ريث كيرت) الشرط الثاني من الشروط والاختيار الثاني التي كان يبحث عنها عائلة (روبنسون) منذ قديم الزمان وأصبح (ريث كيرت) وكل من يدخل الى مقاطعته يمتلك إرادة حرة وحرية الاختيار،...

ولكن لن ينتهي عصر القطيع الى الابد فلا بد من ظهورهم يوما ما وربما سيظهر عمدة جديد غير (ريث كيرت) بعد أن يختفي كما اختفى من قبله الكثيرون ،...

أما أنت، نعم أنت يا من تبحث عن (الإرادة الحرة) فابحث عنها داخلك ستجدها في ذاتك، لقد وضعت فينا لكي لا نكون ضمن القطيع ولا نصبح خرافاً، إن بحثت فابحث في أغوارك السحيقة ستجدها أنها تقبع داخلك لا تنسَ ذلك انها في داخلك.

تنبيه: جميع ما ذكر في القصة هي من نسج خيال المؤلف.

R.eath kirt